الشماتة والتشفي في الشعر الجاهلي

م . م . صابرين غالب كاظم محمد
جامعة تكنولوجيا المعلومات والإتصالات
sabreenhusam1992@gmail.com

Gloating and Vindictiveness in Pre-Islamic Poetry

Asst.Instr.Ghaleb Kazem
University of Information and Communications Technology

المستخلص

إن الشماتة أو التشّفي تعبير عاطفي محموم ويائس يترجم حالة الانتقام والوصول إلى ذروته بالتمتع السادي، ويحوّل الإنسان إلى حالة من النشوة والفرح، إذ يحقق للشامت ما كان ينتظره من خصمه أو عدوه، جراء هزيمة أو انتكاسة أو أزمة أو فشل أو خسارة.. وانتهاء بالموت. وهذه الدراسة هي محاولة لتسليط الضوء على هذه الموضوعة وبيان أهم الأنواع والصور التي وردت بها في الشعر الجاهلي.. وكما سيتم إيضاحه بالتفصيل في محاور هذا البحث...

الكلمات المفتاحية: – شعر، جاهلي، شماتة، تشفي

Abstract

Gloating or Vindictiveness is a frantic and desperate emotional expression that translates the state of revenge and its climax into sadistic enjoyment, and transforms a person into a state of ecstasy and joy, as he achieves to the gloating person what he was waiting for from his opponent or enemy, as a result of defeat, setback, crisis, failure, or loss... and ending with death. . This study is an attempt to shed light on this topic and explain the most important types and images that appear in pre-Islamic poetry... and as will be explained in detail in the axes of this research...

Keywords: Poetry, Pre-Islamic, Gloating, Vindictiveness.

المقدمة:

الشماتة والتشفي هما على عكس معنى التسامح والتعاطف والمشاركة. وهو أمر واقع بين الدول والمجتمعات أيضاً، كما هو واقع بين الأفراد والجماعات، والواقع المُعاش هو خير دليل على ذلك. وهو في الوقت ذاته من الممارسات السلبية التي تنهى عنها جميع الديانات السماوية التي حثت على التسامح والتوادد وإغاثة الملهوف والمستجير.. غير أننا وجدنا أن هذه الظاهرة، هي ظاهرة واضحة في الشعر الجاهلي، الذي هو نتاج مجتمع قبلي صحراوي غليظ تربى أفراده على الشراسة والغزوات والحروب، كما تربى على روح الانتقام والقتل والموت.. لذلك سيتم تسليط الضوء على هذه الظاهرة في الشعر الجاهلي، لاسيما قصائد الهجاء التي تضمَّنت ملامح بارزة لهذه الظاهرة، فالشعر العربي لا يتضمن البطولات المُتَغنى بها والفروسية والأخلاق الحميدة فقط، بل هو نتاج إنساني يُضمِر أيضاً أنساقاً مضمَّنة ذات أبعاد لها دلالات عميقة داخل النصوص..

من جانب آخر، إن من طبيعة بعض البشر حب النفس وتفضيلها على غيرها، وهو شعور غير إنساني لكونه مبني على خطأ غير مدروس فضلا عن انفراده بهذا الرأي الخاطئ متناسيا الآخرين الذين تربطهم به صلة أو علاقة, و لعل مثل هذا الشعور لابد أن يكون مبعثه الخصام أو العداوة أو الحسد أو الكراهية المبنية على الحقد الدفين والذي تسفر نتائجه ردود الفعل التي تتسم بصفات سلبية، فتتولد الصراعات والنزاعات والتوترات القبلية، فتجعل من خاض معركتها يتربص وينتهز الفرص, متتبعا أخبار الخصم بما سوف يتوقع لهم من نزول شدائد القدر من ملمات ومصائب تدفع بمثل هؤلاء إلى الشماتة والتشفي, وهم يتذوقون طعم الموقف على اثر وقوع الأحداث والرزايا التي اصابت الطرف الآخر من أضرار مادية وجسدية، فضلا عما يقعون فيه من

أزمات نفسية تقود بمن وقع في شباكها إلى وحل الانتكاسة، والعرضة إلى الطعنه والتجريح والنيل منهم من جراء سلوك الذين ترقبوا هفوات الخصم كمنفذٍ يرجونه للطعن بهم والتشفي هلت عليهم مصائب الدهر حيث حجمت قدراتهم وكدرت حياتهم. والشماتة والتشفي رغم ذلك قد تتصاعد وتيرتها لتكون أشبه بمرض اجتماعي يتمثل في إظهار الفرح المقرون بالابتسامة، وهي علامات تبدو شاخصة في عين الخصم تجاه خصمه فتجعل من الشامت صورة للكشف عما في دواخل ذاته من مواقف عدوانية، وهو ينظر بعين الحقد متمنيا لضده الوقوع في الهلاك، وعلى شفى حفرة من النار وهي محاولات لمنع التمتع بحلاوة الدنيا وبعيشها الرغيد. وفي حالة مرور الشخص بأزمة نفسية حادة و خيبة امل في تحقيق غاية معينة، الأمر الذي يدفع بالآخرين الذين ينتظرون مثل هذا الخبر المأساوي لخصمهم، فبالمقابل تدخل أفئدتهم غمرة السرور والسعادة، وإن هذه الشماتة هي جزء من تركيبة البشر, والتي تظهر بشكل جلي في المجتمعات التي يسودها الجهل والتخلف والفوارق الطبقية، حيث يُنتج مثل هذا النوع من المجتمعات المتطورة التي قطعت شوطا من التقدم الحضاري, فتجاوزت العقد النفسية الرغم من ثقلها على الفرد صاحب الضمير الحي من تكدر الخاطر، وجرح الكبرياء.

يعد الشعر العربي فضاء ومجالاً خصبا ودائما للدراسة والاشتغال؛ لحيويته وارتباطه بالواقع المعيش وبالشعور الإنساني وصراعاته النفسية والاجتماعية، فهو الأقدر على تلبية واحتواء ذلك، وقد كثرت الدراسات التي جعلت من الشعر مجالا لبحثها إلا إننا ما زلنا نشعر ان الكثير من المواضيع لم تُطرق وتحتاج إلى دراسة وبحث وتحقيق ولعل أحد أهم هذه المواضع الشماتة والتشفي في الشعر العربي، إذ لم نجد –على حدِّ علمنا– دراسة مستقلة لهذه الظاهرة في الدراسات والبحوث السابقة. ولعلاقة الموضوع بالهجاء، سنتطرق قليلا إلى هذا الغرض تعريفا وإيضاحا بشيء من الإيجاز.

الهجاء في الشعر الجاهلي

تناول الشعراء الجاهليون في أشعارهم وقصائدهم حياة العربي الجاهلي وأشاروا إلى عاداته وتقاليده ومظاهر عصره، وتحدثوا عن عواطفهم وأحاسيسهم، فسجلوا حياتهم وبيئتهم وأحوالهم، وبناء على ذلك تعددت الموضوعات والأغراض الشعرية في العصر الجاهلي ومنها شعر الهجاء الذي يصب فيه الشاعر سخطه وغضبه على خصومه وأعدائه ويستعمله سلاحا يتسلح به ضدهم..

يعرف الهجاء بأنه لون من الشعر يلجأ إليه الشاعر للتعبير عن غضبه و سخطه وما في نفسه من ضغائن و أحقاد تجاه خصومه وأعدائه و يشار إلى أن هذا الفن عادة ما يرتبط بالحروب و المنازعات، فكان لسان الشاعر في الهجاء في أيام القتال يؤدي دوره مثلما تؤديه السيوف والرماح. إن نشأة فن الهجاء ارتبطت بالعصبية القبلية التي كان يمتاز بها العصر الجاهلي ، فالشاعر لسان حال قبيلته يدافع عنها ويهجو خصومها , كما يلاحظ في بعض الاحيان ان قصائد الهجاء يتخللها المديح او الفخر لبيان مفاخر النفس او القبيلة و التقليل من قدر الخصوم او من يهجوه الشاعر فيقيم هجاءه على عنصر المفاضلة. ومن ذلك ما جاء في الهجاء في العصر الجاهلي قول الحطيئة يهجو قدامة العبسي وقومه[1]:

قدامة أمسى يعرك الجهل آنفه بجداء لم يعرك بها انف فاخر

فخرتم ولم نعلم بحادث مجدكم فهات هلم بعدها للتنافر

ومن انتم ان نسينا من أنتم و ريحكم من اي ريح الأعاصر

فهذي التي تأتي على كل منهج تبوغ ام القعواء خلف الدوابر

والهجاء هو أحد أغراض الشعر العربي منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث، وهو وعمل أدبي يهاجم الرذيلة او الحمق البشري من خلال السخرية، وقد يلجأ الهجاء

إلى سلب المهجو ما يعتز به من الفضائل أو رميه بما ينفر من الرذائل وأحيانا يكون الهجا سياسيا بغرض سلب الحاكم أو الأمير هيبته.

المطلب الأول: الشماتة والتشفي (لمحة عامة):

للشماتة والتشفي أثر واضح في تراثنا الشعري، خاض فيها الشعراء بين ذام لها ومحذر وشامت وموكد على دوران عجلة الزمن وبذل الأموال، وإن المصائب كالداء الذي لا يسلم منه أحد، وبالتالي على الآخرين انتظار دورهم وحصتهم من المصائب قبل ان يشمتوا بالآخرين، كما جاء في قول الشاعر: (٢)

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفيقُوا سَيَلقَى الشَّامِتونَ كَمَا لَقِينَا

أما التشفي فيعني الانتقام نفسياً وليس بشكل حقيقي، من الخصم، كرد فعل على ما حصل له من اعتداء لقتل او انتهاك لحرمة او رد فعل لكرامة، وهو رد اعتبار او استرجاع لحقوق وإيفاء الديون، وما ذلك إلا من أجل الإحساس بالرضا النفسي.

تعريف الشماتة لغةً واصطلاحاً:

الشماتة لغةً: – أصلُ هذه الكَلِمةِ يَدُلُّ على فَرَحِ عَدُوٍّ ببَلِيَّةٍ تصيبُ مَن يعاديه، يقالُ: شَمِتَ العَدُوُّ كفَرِحَ وَزنًا ومعنًى، يَشمَتُ شَماتةً وشَماتًا، وشَمِتَ الرَّجُلُ: إذا فَرِح ببليَّةِ العَدُوِّ، وبات فلانٌ بليلةِ الشَّوامِتِ، أي: بليلةٍ تُشمِتُ الشَّوامِتَ (٣)

الشماتة اصطلاحاً: – هي الفَرَحُ ببليَّةِ مَن تعاديه ويعاديك، وقال أبو حامِدٍ الغَزاليُّ: (الشَّماتةُ: الفَرَحُ بالشَّرِّ الواصِلِ إلى غيرِ المُستَحِقِّ، ممَّن يَعرِفُه الشَّامِتُ) (٤)

وقال القُرطبيُّ: (الشَّماتةُ: السُّرورُ بما يصيبُ أخاك من المصائِبِ في الدِّينِ والدُّنيا)(٥)

وقال الشَّوكانيُّ: (الشَّماتةُ: السُّرورُ من الأعداءِ بما يصيبُ مَن يعادونه من المصائِبِ) (٦)

وقال ابنُ عاشورٍ: (الشَّماتةُ: سُرورُ النَّفسِ بما يصيبُ غيرَها من الأضرارِ) [٧]

الشماتة: – هي الغيرة وعدم حب غير الذات، فضلا عن ذلك تمني زوال نعمة الآخر/الخصم، ولاسيما عندما يرى خصمه بحال حَسِن، من نعم وميزات وجاه وسمعة وشأن ومكانة في مجتمعه وقومه، لذا يترقب ويترصد له فإذا أحاطت بخصمه ظروف قاهرة يفرح لما أصابه الخصم وتشفى به، وهي صفة غير محمودة..

التشفي لغةً واصطلاحاً:

إِشْفِي: اسم، والجمع أشاف، والإشفى فحرز الاسكاف. وشافى / فعل / شافاهُ الله وعافاه من مرض، وشَفى بـ / تشفياً فهو متشفِ والمفعول متشفى به.. تشفى من غيظه بريء منه هدأ غضبه.. يتشفى من اعدائهِ: – كأنه يثأر منهم نكاية ليدخل السرور على نفسهِ. تشفى بالدواء: شُفي به [٨]

التشفي اصطلاحا: – زوال ما في القلب من الغيظ، وشفاء الغيظ: إزالته فنقل من شفاء الأجسام إلى شفاء القلوب والنفوس. واشتفيت بالعدوّ وتشفّيت من غيظي؛ لأنّ الغضب الكامن كالداء، فإذا زال بما يطلبه الإنسان من عدوّه فكأنّه برأ من دائه[٩]، **والتشفي** يعني الانتقام من الخصم الجاني كرد فعل على ما حصل له من اعتداء كقتل او انتهاك لحرمه او رد فعل لكرامة وهو رد اعتبار واسترجاع لحقوق وايفاء لديون (العين بالعين والبادي أظلم كالقتل ينبغي القتل) حين تهدأ سكينة القاتل[١٠].

وفي تعريفٍ آخر للشماتة من وجهة نظر علماء النفس، بأنها مشاعر الفرح والبهجة التي يسبّبها بؤس الآخرين. وهي ظاهرة نفسية مؤسفة شائعة، فضحتها وسائل التواصل الاجتماعي على نطاق واسع، كي لا نقول إنها مرضٌ خطيرٌ وتَشوّهٌ نفسيٌّ وانحدار أخلاقي وتراجع إنساني يتمثل بانعدام مشاعر التعاطف والتضامن المفترضة في الطبيعة البشرية مع أحزان غيرهم، بل تصل بالمصاب بها إلى ما تُعرف بحالة الفرح

الخبيث، وغالباً ما ترتبط تلك الآفة المقيتة بالشخصيات الناقمة المتعصبة المعادية للمجتمع.

وقد صنّفها الفيلسوف واللاهوتي، توما الأكويني (١٢٢٥-١٢٧٤)، واحدة من المشاعر السلبية الضارّة المستمدة من الحسد والحقد والكراهية والتنافسية المرضية والرغبة النهمة الشرهة بالتفوق تحت أي عنوان، ما يجعل الشامت يسعد لرؤية الآخرين يخفقون في حياتهم، ويضعهم، من وجهة نظره القاصرة العمياء، في مكانة اجتماعية أقلّ، فيغذّي الشعور لديه بالتفوّق والرضا، ويؤدّي به إلى ما تُعرف بحالة الفرح الخبيث، وهي تلك المتعة الغامضة المستمدة من مصائب الآخرين.. ومن أبشع أشكالها على الإطلاق الشماتة عند موت أحد الخصوم أو المختلف معهم فكرياً وسياسياً، ولا يخجل هؤلاء من التعبير عن تلك المشاعر الدنيئة الخسيسة على الملأ بكل فجاجة، من دون أدنى مراعاةٍ لأحزان ذوي الراحل وأحبّته المفجوعين بغيابه.

يتوهم هؤلاء الشامتون الصغار على غير صعيد، لفرط سذاجتهم ورثاثة أخلاقهم وتدني مستوى تفكيرهم، حصانة ما من مصيرٍ مماثلٍ يتربّص بهم في لحظة قادمةٍ لا ريب فيها[١١].

يقول **عروة بن الورد**[١٢]:

أَلَيسَ وَرائي أَن أَدِبَّ عَلى العَصا فَيَشمَتَ أَعدائي وَيَسأَمُني أَهلي (١٣)

رَهينَةُ قَعرِ البَيتِ كُلَّ عَشِيَّةٍ يُطيفُ بِيَ الوِلدانُ أَهدُجُ كَالرَألِ (١٤)

أَقيموا بَني لُبنى صُدورَ رِكابَكُم فَكُلُّ مَنايا النَفسِ خَيرٌ مِنَ الهَزلِ (١٥)

يروى أن عروة بن الورد لما طال به العمر، لم يجد مناصاً من أن يتوكَّأ على العصا، مما يجعله عرضة للتشفي وسؤوم الأهل (امراته) منهُ، كما أن طول العمر سيجعله

في البيت لا يبرحه، ليشبه بعد ذلك نفسه وهو في حالة الضعف والكبر بفرخ النعام في تثاقل الخطى وفي الانحناء، وفي نهاية الأبيات نجد ان الشاعر يدعو قومه حثيثا وبإلحاح للغزو في الحرب أشرف للمرء من الهزال والضعف، فيصرح لقومهِ أنهُ وان كبر فلن يبلغوا ما به من همة وكبرياء.

المطلب الثالث: أنوع الشماتة والتشفي:

من خلال الاطلاع على نماذج من الهجاء في الشعر الجاهلي، تم رصد بعض الأنواع من النصوص الشعرية التي تتضمن شفاءً وتشفي بالآخر، على اختلاف هذا الآخر وتباينه من حيث القرب أو البعد من الشاعر، ومن هذه الأنواع:

أ. **شماتة الأقارب:**

قد يكون الأقارب هم أكثر الناس تدخلا في حياة الشاعر، كما أنهم الأكثر تصادما معه في بعض تفاصيل حياته، لذلك قد ينالهم شرر هجاء الشاعر فيما لو تعرضوا له بالمس أو الإيذاء، فهذا علقمة الفحل يقول في إحدى قصائده[١٦]:

وَشامِتٍ بِيَ لا تَخفى عَداوَتُهُ ... إِذا حِمامِيَ ساقَتهُ المَقاديرُ

إِذا تَضَمَّنَني بَيتٌ بِرابِيَةٍ ... آبوا سِراعاً وَأَمسى وَهوَ مَهجورُ

فَلا يَغُرَّنكَ جَرّيَ الثَوبَ مُعتَجِراً ... إِنّي اِمرُؤٌ فِيَّ عِندَ الجِدِّ تَشميرُ

كَأَنّي لَم أَقُل يَوماً لِعادِيَةٍ ... شُدّوا وَلا فِتيَةٍ في مَوكِبٍ سيروا

ساروا جَميعاً وَقَد طالَ الوَجيفُ بِهِم ... حَتّى بَدا واضِحُ الأَقرابِ مَشهورُ

وَلَم أُصَبِّح جِمامَ الماءِ طاوِيَةً ... بِالقَومِ وِردُهمُ لِلخِمسِ تَبكيرُ

أَورَدتُها وَصُدورُ العيسِ مُسنَفَةٌ ... وَالصُبحُ بِالكَوكَبِ الدُرِيِّ مَنحورُ

تَباشَروا بَعدَما طال الوَجيفُ بِهِم ... بِالصُبحِ لَمّا بَدَت مِنهُ تَباشيرُ

بَدَت سَوابِقُ من أولاهُ نَعرِفُها ... وَكِبَرُهُ في سَوادِ اللَيلِ مَستورُ

الحمام: الموت. ساقتهٌ جاءت به. المقادير جمع مقدار وهو ما يريدهُ الله بالعبد. تضمني: شملني. الرابية: ما ارتفع من الأرض، والمراد هنا العبد. فلا يغرنك: فلا يتحد عنك وجرى الثوب كناية عن البتخثر. المعتجر: من لوى ثوبه، ويقول لا يتحد عنك ترقى فيتخرئ عليٌ فاني في الجد اخذ بالحزم واسعد. برابية: ما ارتفع من الأرض وكانوا يدفنون الموتى فيها ليرتفقوا عن مجرى السبيل ليشهدوا صاحب القبر. العادية / الرجالة (المشاة) وشدوا: أحملوا: والموكب القوم الركوب على الابل للزينة، ويصح أن يراد بالموكب هنا ساروا. طال / امتد الوجيف ضرب السير السريع بدا ظهر المراد بواضح الاقراب. الصبح الاقراب : النواحي.. المال حباً جماً :- كثيراً طامية / صفة موصوفها محذوف وهو الابل ومعناها ضامرة. هذيلة والورد ورود الماء يقابلهُ الصدر قال الشاعر لا يغرب الورد حتى يعرف الصدرا والخمس / ورود الماء لخمسة أيام.. العيس الابل :- مسغة مشدودة بالساق وهو حبل يشد من حزام البعير الى خلف الكركرة حتى شيتت الرجل والكوكب. الدرى / المراد به الزهرة وهي نجم يطلع مثل قال ابن سعيد المغربي الاندلس في كتاب عنوان الموقصات والمغتربات : معاني الغوص في شعر علقمة معدومة واقرب ما وقع له قوله: اورديتها البيت؛ يشير الى ان الكوكب الصبح قبل سنان الحرية بهِ نال منهُ دم الشغف وإذا تبين هذا المعنى وقد بينه في قوله.. الوجيف ضرب سريع من السير، تباشير شواهد دالة عليه.بدت / ظهرت. سوابق/ أوائل. معظم الشيء منتهاه:

على الرغم من أن الأبيات قيلت وقد جاوز الشاعر عمر (التسعين) إلا إنها تؤشر حالة ذهنية وشعرية قريبة من الانكسار والانكفاء على النفس، ففي ضوء ما تحدث عنه الشاعر حالة الكهولة والضعف التي أشار إليها بـ (الشيب والكبر) في ارذل العمر

فقد وصف حاله في تلك المرحلة العمرية المؤلمة في حياة كل إنسان، ذلك انه ترجل عن صورة جواده دلالة وكنابة عن ذهاب القوة والشباب، واصفا حاله وهو ينهض بصعوبة بالغة من الأرض مصوراً ذلك بصورة ذهنية للمتلقي من خلال تخيل ذلك القيام وهو يتكئ على راحتيه مرة ومستنداً الى عصاه أخرى وكانه رحلة على مراحل فقط ليقف على قدميه، ثم انتقل إلى صورة أخرى تتم براعة في نقل وتوصيف إحساسه آنذاك إلى كل من يقرا أبياته من خلال توظيفه العبارات الدالة على تكالب الدهر و(بنات الدهر) عليه وما ذلك إلا تعبيراً عن القوى الخارجية المتمثلة بالدهر ومصائبه (الشيب والكبر) وذلك الاستفهام الانكاري الذي ترميه من حيث لا يرى فكيف عن يرمي ليس برام ؟ وهذا البيت ما تلاه جمالية خاصة فهما يصلحا ان يعبر عن أنَّات كل باك، ودموع كل متألم عموما، مؤكدا فهي تقاتله بالأشياء عن المرئية والا لكان قادرا على ردها لو عمدت الى الأشياء المرئية الواضحة (النبل وغيرها) وهذا ما يجسده عجزه التام عن مواجهتها بشكل خاص، وعن عجز الانسان عموما في تلك المواجهة عن المتكافئة الأطراف.

بعد تلك الصورة البيانية يعود الشاعر إلى الصورة الواقعية الذهنية من خلال كلام من راه من الناس بذلك التساؤل والدهشة باستعمال (الم تكن حديثا البرى غير كهام) أولست ذلك الرجال الشاب حديث السن، ولم تكن كالسحاب الكليل العي البطيء الحركة مما استوجب منه تبرير ذلك الامر وذلك الثقل في الحركة بالإقرار تحقيقه (الفناء) فناء الانسان وعدم خلوده (وافنى ما افنى) وحتى لو طال الانسان بهذه الحياة فان ذلك الامل زائل لا محالة وحتى تعاقبت الأمور وهذا ما أكده بقوله واهلكني وتكراره لـ (تأميل) لـ (عام) مرتين فضلا عن اليوم والليلة .

أما مرؤ القيس فيقول في قوم متشفيا فيما أصابهم[١٧]:

أَلا يا لَهْفَ هِنْدٍ إِثْرَ قَوْمٍ هُمُ كانوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا

وَقَاهُم جَدُّهم بِبَنِي أَبِيهم وبالأَشْقَيْنِ ما كان العِقَابُ

وَأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءٌ جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفِرَ الوِطَابُ

يعني ان اسداً ابني خزيمة هما أخوان، وقوله كانوا قتلوه واشتاقوا ابله وطالبه من البن. (كانوا الشفاء) يعني ان الذي يشفيه مما يجد يقتل ابيه قتل بني أسد، فوضع السلاح في كنانهِ وهو يرى انهم بنو اسد فتلهف الا يكون أدرك اسد. (وقاهم جدهم ببني ابيهم) الجد الحظ والبخت، يقول وفي بني اسد جدهم وبختهم بقتل بني عمهم كنانة واراد وبالأشقين كان العقاب "وادخل" ما صلة وحشوا ويجوز ان تكون ما مع العقل بتأويل المصدر على تقدير وبالأشقين كون العقاب، وهذا البيت الذي بعده اشتمله كل واحد منهما على فعلين وكان الأصمعي يعجب من جودة هذه الابيات... وعلباء هذا قتلَ أبا امرئ القيس وهو علباء بن الحارث الكاهلي وقولهِ واقتلهن " يعني الحيل والجريض الذي يغص بريقه "صفر الوطاب أي هلك فخلا جسمهً[١٨].

وكان قد تولى عمرو بن حجر آكل المرار المُلك على نجد بعد أبيه حجر بن عمرو آكل المرار، وعمر هذا كان يلقب بالمقصور؛ وإنما قيل له المقصور لأنه قصر على ملك أبيه ، وكان أخوه معاوية ، وهو الجون ، على اليمامة . فلما مات عمرو ملك بعده ابنه الحارث ، وكان شديد الملك بعيد الصوت ، فلما ملك قباذ بن فيروز الفرس خرج في أيامه مزدك فدعا الناس إلى الزندقة ، كما ذكرناه ، فأجابه قباذ إلى ذلك ، وكان المنذر بن ماء السماء عاملا للأكاسرة على الحيرة ونواحيها ، فدعاه قباذ إلى الدخول معه ، فامتنع ، فدعا الحارث بن عمرو إلى ذلك فأجابه ، فاستعمله على الحيرة وطرد المنذر عن مملكته .وقيل في تملكه غير ذلك ، وقد ذكرناه أيام قباذ. فبقوا كذلك إلى أن ملك كسرى أنوشروان بن

قباذ بعد أبيه فقتل مزدك وأصحابه وأعاد المنذر بن ماء السماء إلى ولاية الحيرة وطلب الحارث بن عمرو، وكان بالأنبار، وبها منزله، فهرب بأولاده وماله وهجائنه، وتبعه المنذر بالخيل من تغلب وإياد وبهراء فلحق بأرض كلب فنجا ، وانتهبوا ماله وهجائنه، وأخذت تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بني آكل المرار، فيهم عمرو ومالك ابنا الحارث، فقدموا بهم على المنذر، فقتلهم في ديار بني مرينا، وفيهم يقول عمرو بن كلثوم[١٩]:

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس[٢٠]:

ملوك من بني حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل ولكن في الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا

الحس بالتشفي والشماتة قد تكون بادية وواضحة تماماً في قول عمرو بن كلثوم، فهو يفخر بسوقه الملوك من بني حجرٍ مصفدين بالحديد، يقادون إلى حتفهم، لذلك يمكن القول الدافع للشماتة والتشفي عند الشاعر، هو الفخر ببطولات قومه وشجاعتهم، فهو يريد أن يقول، إنهم إذا عادوا من الحروب يعودون بالأبطال يسوقونهم، وليس مثل غيرهم يفرحون ويفخرون بالغنائم وما نهبوه، لأنهم؛ أي قوم عمرو يأنفون عن ذلك، لكثرة خيرهم. ويقول شامتاً ومفتخراً في موضع آخر من معلقته[٢١]:

وَسَيِّدِ مَعشَرٍ قَد تَوَّجوهُ بِتاجِ المُلكِ يَحمي المُحجَرينا

تَرَكنا الخَيلَ عاكِفَةً عَلَيهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَها صُفونا

وَأَنزَلنا البُيوتَ بِذي طُلوحٍ إِلى الشاماتِ تَنفي الموعِدينا

وَقَد هَرَّت كِلابُ الحَيِّ مِنّا وَشذَّبنا قَتادَةَ مَن يَلينا

فهو يفخر ويشمت بهزمهم السادات من القبائل، أولئلك الذين توجوهم لحمايتهم، ولكن لا منعة أمام تغلب وأبطالهم.

<u>الشماتة والتشفي بالموت:</u>

من أبشع أنواع الشماتة هي الشماتة والتشفي بالموت؛ ذلك أن هذا الأمر هو أمر محتوم، يمر على الناس جميعاً، ولا شماتة فيه، غير أن هنالك من تشفَّى بغيره عندما قاربه الموت، من ذلك قصيدة علقمة الفحل في غزوهم (طي) في هذه القصيدة يوصي زرارة بن عباس التميمي يوصي ابن أخيه عمرو بن عبس ان يطلب الثأر من عمرو بن ملقط. (٢٢)

لِلماءِ وَالنَارِ في قَلبي وَفي كَبِدي مِن قِسمَةِ الشَوقِ ساعورٌ وَناعورُ

وَنَحنُ جَلبنا مِن ضَرِيَّةَ خَيلَنا نُكَلِّفُها حَدَّ الإِكامِ قَطائِطا

سِراعاً يَزِلُّ الماءُ عَن حَجَباتِها نُكَلِّفُها غَولاً بَطيناً وَغائِطا

يُحَتُّ يَبيسُ الماءِ عَن حَجَباتِها وَيَشكونَ آثارَ السِياطِ خَوابِطا

فَأَدرَكَهُم دونَ الهُيَيماءِ مُقصِراً وَقَد كانَ شَأواً بالِغَ الجَهدِ باسِطا

أَصَبنَ الطَريفَ وَالطَريفَ بنَ مالِكٍ وَكانَ شِفاءً لَو أَصَبنَ المَلاقِطا

إِذاً عَرَفوا ما قَدَّموا لِنُفوسِهِم مِنَ الشَرِّ إِنَّ الشَرَّ مُردٍ أَراهِطا

فَلَم أَرَ يَوماً كانَ أَكثَرَ باكِياً وَأَكثَرَ مَغبوطاً يُجَلُّ وَغابِطاً

الساعور/ التَّنُّورُ الناعور: – مفرد النواعير / وهي السواقي المعروفة وهذا البيت رواه الراغب الاصفهاني في محاضراته.. ضرية / مدينة غربي الرياض / وقد بادت الحد / الطرف الذي يشبه الابرة.. الاكام: – جمع اكمة / وهي ما اجتمع من الحجارة في مكان مثل التل.. قطاقطا / جماعات.. الحجباتها :– رؤوس الاوراك / للغول البعيد / البطين :– الواسع ، الغائط المطمئن على الأرض يقول وكنا مسرعين في سيرنا حتى صار العرق ينزل عند اوراك الخيلِ كالماء وكنا نكلفها السير البعيد في الأرض الواسعة الارجاء المطمئنة الانحاء ...يحث:– يغرك ويقشر /والمراد يبيس الماء هنا الوسخ تكون من غبار الطريق والعرف.. خوابطا :– أي ضوارب بايديها ، فادركهم أي ادراك عمر بن عمرو التميمي ، الهيماء اسم قاء في ديارطي كما ذكره البكري في معجمه ، مقصرا منهيا ، شاوا الشوط ، الجهد /المشقة ، باسطا واسعا ، الطريفين / طريف بن عمرو ، طريف بن مالك ، الملاقط :– بنو ملقط بن عمرو بن ثعلبة بن عوف بن وائل بن دره من طيء ، مرد/ مهلك ، الارهط : الاقوم يقول اذا تحققوا أفعال الشر التي ارتكبوها فلا يلومون الا انفسهم وقد استحقوا ما نزل بهم من الاسر والقتل والجزاء من العمل ..المغبوط/ المسرور الذي يغيطه غيره على حاله، الغابط: – الذي يتمنى مثل حال المغبوط بدون تمني زوال نعمته ومعنى البيت ما رأيت يوما كهذا اليوم اكثر فيه الباكون علي قتلاهم واسراهم وكثر فيه أيضا المسرورون بما قتلوا وغنموا وكثر الذين يتمنون حال المسرورين. فهو يشمت بمن ظفر به، وهم الطريفين: طريف بن عمرو، وطريف بن مالك، ولا يكتفي بذلك، ولكن يقول قد يكون الشفاء لما في القلب كبيرا لو ظفر أيضاً بالملاقط، ويقصد بهم بنو ملقط بن عمرو بن ثعلبة بن عوف بن وائل بن دره من طيء على حد قوله: (وَكانَ شِفاءً لَو أَصَبنَ المَلاقِطا) وبذلك الظفر قد تنطفئ النار في صدره التي أشار إليها في بداية الأبيات.

وفي موضع يقول عنترة:

بِلادٌ بِها نادَمتُهُم وَأَلِفتُهُم فَإِن تُقوِيا مِنهُم فَإِنَّهُما بَسلُ

إِذا فَزِعوا طاروا إِلى مُستَغيثِهِم طِوالَ الرِماحِ لا ضِعافٌ وَلا عُزلُ [٢٣]

يقول هذه البلاد التي وضعتها نادمتهم فيها (ألقهم) بها أي صحتهم وقولهِ (فإن نقويا) فهم اخبر عن محجر وجزع يقول ان خلنا من هؤلاء القوم فيها حرام علي (لا اقربهما) ولا أحل بهما والسيل الحرام وقوله اذا فزعوا أي اغاثوا مستصرخا مستغيثا بهم (طاروا) اليه أي اسرعوا اليه لينصروهُ وقوله طوال الرماح يعني انهم ذو قوة وشدة وبأس وكي يطول الرماح عن ذلك لان الرمح الطويل الكامل لا يكاد يستعمله الا الكامل الخلق الشديد العزل وهو الأعزل الذي لا سلاح له.

بِخَيْلٍ عليها جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ جديرون يوماً أنْ ينالوا فَيَسْتَعْلوا

وَإِن يُقتَلوا فَيُشتَفى بِدِمائِهِم وَكانوا قَديماً مِن مَناياهُمُ القَتلُ [٢٤]

يقول هؤلاء سيرعون الى نصره المظلوم تخيل عليها رجال مثل الجن في الخبث والدهاء والنفوذ فيما حاولوا "الجنة" جمع جن وقوله جديرون أي خليقون، مستحقون لان ينالوا ما طلبوا ويشركوا ما حاولوا معنى يستعلوا يظفروا ويعلوا على العدو. فيشتفى بدمائهم أي هم اشراف فاذا قتلوا رضي القاتل بهم وشفى نفسه بدمائهم ورأى انه قد أدرك ثأرهٌ بهم وقولهِ " من مناياهم القتل " أي هم اهل حروب فلا يموتون على فرشهم حتى انوفهم. وهو فخر بتلميح بالتشفي بالقتل فيما لو تم الظفر بهم.

بَكَيتَ وَأَنتَ اليَومَ شَيخٌ مُجَرِّبٌ عَلى رَأسِهِ شَرخانِ مِن لَونِ أَصنافِ

سَوادٌ وَشَيبٌ كُلُّ ذَلِكَ شامِلٌ إِذا ما صَبا شَيخٌ فَلَيسَ لَهُ شافِ [٢٥]

وَحَيٍّ مِنَ الأَحياءِ عَودٍ عَرَمرَمٍ مُدِلٍّ فَلا يَخشَونَ مِن غَيبِ أَخيافِ

كما هو معروف في (المقدمة الطليعة) في الشعر الجاهلي هي مفتاح القصيدة التي ينطلق منها المبدع والمتلقي للولوج في عالم القصيدة ومن هنا كان توظيفها من قبل الشاعر الذي افتتح الابيات بصيغة الاستفهام الانكاري بقوله (أمن طلل) واخذ يصف ذلك الطلل القفر وتعاقب رياح الشتاء والصيف عليهِ مراراً واضحاً مكان الحيوانات من الابل والوحوش ومكان تجمع الاحطاب ثم جاء بالفعل بحيث أيضا في دلالة التعجب من نفسه اذ كيف يبكي من هذا الطلل وهو يعتبر من قد جاوز ذلك الامر فهو اليوم (شيخ مجرب) حنكتهُ الأيام وما في راسه من العندية (السواد والشيب) الا دليل على مرور الزمن وتفاقم الخيرة . فعليه ان يتراجع عن فعل (البكاء)فالتصابي للشيوخ ليس له شفاء ولا دواء وكانه بذلك يقرن البكاء بالشباب ، وينغيه عن الشيوخ نتيجة تعاقب الاحداث والأمور والمصائب مما يقوي قلب الانسان ولكن مع ذلك يبقى الطلل وما حل به من تغيير معادلا للكبر والشيخوخة عند الشاعر سواء ابكي ام لم يبكِ ، وما لحظة البكاء تلك الا بداية الانهيار النفسي للشاعر ، الذي تجسد بتلك الدموع على حياته المستقبلية المتلاشية ورحيل الماضي (الشباب) الذي يفقد الانسان برحيله القوة مما يشير بداخله الاضطراب والغيرة ، ومن ثم لم يعد امامه في تلك اللحظات الا العبرات ترجمان عن الحزن والالم والعجز عن فعل أي شيء بغير مجرى الاحداث او يخق وطأتها [٢٦]

رَمَتني بَناتُ الدَهرِ مِن حَيثُ لا أَرى فَكَيفَ بِمَن يُرمى وَلَيسَ بِرامي

فَلَو أَنَّها نَبلٌ إِذاً لَاِتَّقَيتُها وَلَكِنَّما أَرمي بِغَيرِ سِهامِ [٢٧]

كانت حنظلة من بني تميم غزت بني عبس وعليهم عمرو بن عمرو بن عدس الدارمي فقتلهُ بنو عبس بنو تميم أنهُ تردى من ثنية أقرن وهزمت بنو تميم وذلك اليوم يوم أقرن فقال عنترة في ذلك

كَأَنَّ السَرايا بَينَ قَوٍّ وَقارَةٍ عَصائِبُ طَيرٍ يَنتَحينَ لَمَشرَبِ
وَقَد كُنتُ أَخشى أَن أَموتَ وَلَم تَقُم قَرائِبُ عَمروٍ وَسطَ نَوحٍ مُسَلِّبِ
شَفى النَفسَ مِنّي أَو دَنا مِن شِفائِها تَرَدّيهُمُ مِن حالِقٍ مُتَصَوِّبِ
تَصيحُ الرُدَينِيّاتُ في حَجَباتِهِم صِياحَ العَوالي في الثِقافِ المُثَقَّبِ
كَتائِبُ تُجزى فَوقَ كُلِّ كَتيبَةٍ لِواءٌ كَظِلِّ الطائِرِ المُتَقَلِّبِ

يقول شفي نفسي من هؤلاء القوم تراميهم من خالق وهو الجبل الطويل وقولهِ تصيح الردينيات أي يسمع لها صوت في حجاباتهم لشدة الاعتماد عليها عن الطعن بها العوالي صدور الرماح باعيانها والثقاف الذي تقوم فيه الرمح للتقويم والحجبات رؤوس الاواري قوله (كتائب تجزى) هو مردود قولهُ كأن السرايا بمصائب طير وشبه لواء ذلك الكتيبة مرطلة يظل الطائر الذي يطير منقلب جناحيه ويصرفه.

وفي موضع آخر يقول عنترة بن شداد[٢٨]:

أُحِبُّ بَني عَبسٍ وَلَو هَدَروا دَمي لِأَجلِكِ يا بِنتَ السَراةِ الأَكارِمِ
وَأَدنو إِذا ما أَبعَدوني وَأَلتَقي رِماحَ العِدا عَنهُم وَحَرَّ الهَواجِرِ
تَوَلّى زُهَيرٌ وَالمَقانِبُ حَولَهُ قَتيلاً وَأَطرافُ الرِماحِ الشَواجِرِ
وَكانَ أَجَلَّ الناسِ قَدراً وَقَد غَدا أَجَلَّ قَتيلٍ زارَ أَهلَ المَقابِرِ
فَوا أَسَفا كَيفَ اِشتَفى قَلبُ خالِدٍ بِتاجِ بَني عَبسِ كِرامِ العَشائِرِ
وَكَيفَ أَنامُ اللَيلَ مِن دونِ ثَأرِهِ وَقَد كانَ ذُخري في الخُطوبِ الكَبائِرِ
أَلا هَل أَتاها أَنَّ يَومَ عُراعِرٍ شَفى سَقَماً لَو كانَتِ النَفسُ تَشتَفي
فَجِئنا عَلى عَمياءَ ما جَمَعوا لَنا بِأَرعَنَ لا خَلٍّ وَلا مُتَكَشِّفِ

بين عنترة بن شداد في هذهِ الابيات عن عمق محبتهِ لقومهِ رغم كل ما قد يلاقيه من نكران للجميل وجحودهِ، وان هذهِ المحبة هي التي تدفعهُ دائماً في كل مرة لدفع الصائلين

عنهم، كما تأسف عنترة لحجم الفقد الذي عاشته بنو عبس وذلك أثر مقتل زهير الذي يصفهُ الشاعر بالعظمة في حياته ومماتهِ، ليقول الشاعر في نهاية الابيات بانهُ لن ينام عن ثار زهير وذلك لأنهُ هو ذخر بني عبس لكبار المصائب.. وهو يروم التشفي بالأخذ بالثأر والقتل، كي يتشفَّى غليله، وتهنأ نفسه. في يوم عراعر كانت بنو عبس لما اخرجهم ضيفه في اليمن وارادوا ان يأتوا بني تغلب فمروا بحي من كلب على ماء يقال له عراعر فطلبوا ان يسقوهم من الماء وان يوردوهُ إبلهم وسيدهم بوعث رجل من كلب يقال له مسعود بن مصاد فأرادوا إبلهم فقاتلوهم فقتل مسعود مصالحهم على ان يشربوا من الماء ويعطوهم شيئا فانكشفوا عنهم.

مما تقدم يتضح جلياً أن الشماتة والتشفي كانت مقرونة دائما بالتفاخر والبطولات، وهو جانب مهم من حياة القبيلة وطريقة تفاخراتهم، ولمَّا كان الشاعر جزءاً من قبيلته ومن عاداتها أيضاً، ظهر ذلك في شعره بشكل جلي...

ج. الشماتة والتشفي في اشعار النساء:

لعل أشعار النساء في العصر الجاهلي لا تقل أهمية عن أشعار الشعراء آنذاك، إذ كان للمرأة الأثر الواضح في الحروب والحث على الأخذ بالثأر من ذويهن، والتأليب بالعداء للخصوم، فهذه جليلة بنت مرَّة لخَّصت حالة الحزن والانشطار الوجدان بين نقيضين، فالشاعرة ابتدأت أبياتها بقولها إن الدهر ابتلاها برزء عظيم، هو قتل كليب، الأمر الذي جعلها تصبح بين نارين نار من خلفها وهي نار الحزن على بعلها، ونار من أمامها وهي نار الثأر التي تتأجج في دواخلها، وذلك لان أخاها جساس بن مرة هو القاتل لزوجها.. فأبياتها تؤرِّخ لفترة ووقت معين، وهو المتمثل في وصول من مقتل كليب لحي قومه ما جعل نساء ثعلب يطالبون بطرد الجليلة؛ وذلك لأنهم يرون في

بقائها شماتة ونكاية لهم إذ إن القاتل هو اخوها جساس. وبذلك أنشدت جليلة بنت مرة، ترثي اخاه كليب:

يَا نِسَائِي دُونَكُنَّ اليَوْمَ قَدْ ... خَصَّنِي الدَّهْرُ بِرُزْءٍ مُعْضِلِ
خَصَّنِي قَتْلُ كُلَيْبٍ بِلَظًى ... مِنْ وَرَائِي وَلَظًى مُسْتَقْبِلِي
لَيْسَ مَنْ يَبْكِي لِيَوْمَيْنِ كَمَنْ ... إِنَّمَا يَبْكِي لِيَوْمٍ يَنْجَلِي
يَشْتَفِي المُدْرِكُ بِالثَّأْرِ وَفِي ... دَرَكِي ثَأْرِيَ ثُكْلُ المُثْكِلِ
لَيْتَهُ كَانَ دَمِي فَاحْتَلَبُوا ... بَدَلاً مِنْهُ دَمًا مِنْ أَكْحَلِي
إِنَّنِي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَـــــــــةٌ ... وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْتَاحَ لِي [٢٩]

بجل / محركة البهتان.. الاكمل / عرف في اليد.. (دونكن) أي ابتعدن عني واتركنني هذا اليوم وهذا من باب الوعيد كما تقول دونك صراعى ودونك فتمرس بي (معضل) المعضلات :- الشدائد وامر معضل / لا يهدى لوجهه. المعنى / يا نسائي ابتعدن عني هذا اليوم فإن الدهر قد خصني بمصيبة عظيمة لا يهتدي لوجها ثم فصلت ما احتمله. (لظى) النار او لهبها

خصني قتل كليب بنار تتوقد من ورائي حيث أنّ المقتول زوجي وبنار توقد من أمامي، إذ إن المطلوب بالثأر أخي.. ليس من يبكي على يومين يوم مضى وقعت فيه المصيبة ويوم مقبل ينتهي وقوع مصيبة أخرى مثلها كمن يبكي ليوم مقبل فحسب..يَشْتَفِي.. يقال اشقى بكذا نال الشفاء وشفى من غيظه (الثكل) فقدان الحبيب المعنى من كان له ثأر فأخذه أشفي به ولكن في ثأري فقدان الأحبة اذ مان ثأري عن اخي.(درراً) دَر اللبن والدمع ونحوهما يدر دراً ودروا وكذلك الناقة إذا حلبت فأقبل منها على الحالب شيء كثير. (كحلي) الاكحل عرق في وسط الذراع يقصد او يحقن يقال له النسا في الفخذ وفي الظهر الابهر، وقبل الاكحل عرق الحياة يدعى نهر البدن وفي كل عضو

منه شعبة له اسم على حدة فإذا قطع في اليد لم يرقأ الدم. ليت هذا الثأر كان دماً فأخذوه مني بأن يختلبوا من اكحلي دماً كثيرا حتى يدركوا ثأرهم. (لارتاح الله لفلان) نظر اليهِ ورحمهُ، انني قاتلة لاي لي ثأراً عند قاتل زوجي لابد ان أدركه مقتولة لان المطلوب بالثأر هو اخي فالاعتداء عليه اعتداء عليه وقتلهِ كقتلى، ولعل الله ان ينظر الي ويرحمني من هذا التمزق الذي انا فيه..

فهي تؤكد إن في قتل القاتل شفاء وتعزية لذوي المقتول، ولكنها في هذه الحالة يتعذر عليها الأخذ بالثأر، فإن هي قتلت قاتل زوجها، ثُكِلَت مرة أخرى بموت أخيها..

قال عمرو ذو الكلب الهذي من شعراء الصعاليك

ألا قالتْ غَزِيّةُ إذ رأتْنى ألَم تُقتَلْ بأرضِ بنى هِلال

أَسَرَّكِ لو قُتِلْتُ بأرضِ فَهْمٍ وكلٌّ قد أبأتُ إلى ابتهالِ (٣٠)

كان العرب إذا رأوا رجلا مع فتاة من فتياتهم يطلبون دمهُ، ومن هذا ما حصل مع شاعرنا عمرو ذي الكلب الهذلي الذي أحب فتاة، وعندما علم أهلها بذلك طلبوا دمه ولحقوا به حتى تمكنوا من قتلهِ.

أمَّا عن مناسبة القصيدة (الا قالت غزية) فيروى بأن عمرو ذي الكلب الهذلي كان قد احب امرأة من قبيلة فهم ترى ام جليحة وكانت الأخرى هي تحبه وفي يوم من الأيام علم أهلها بخبرهُ هو واياها ، فطلبوا دمه فانقطع عنها فترة من الزمان ، ومن ثم عاد الى ديارها في يوم يقابلها فعلم أهلها فعلم أهلها بخبره ولكنه تمكن من الهروب منهم فخرجوا في اثره وبقوا في اثره حتى جاء المساء ، وكانت تلك الليلة شديدة الظلمة ذات ريح عاصف وبينما هو يسير على جانب الطريق رأى نارا عن يمينه ، فقال في نفسه والله قد اخطئت الطريق وان هذه النار تعلى الطريق واتجه صوب تلك النار حتى وصلك اليها. فالشاعر في البيت الأول يتوقع أن مقتله سوف يكون على يد بني فهم

في ارض بني هلال ويقول بأن امرأة قد اخبرته بانه سيقتل في ارض بني هلال ومن ثم قال لهم انا فيها الان ومن ثم دخل رجل منهم الى الفهار فقام عمرو بقتله فقالوا هل قتلته يا عدو الله فقال لهم وبقي معي أربعة أسهم وسوف يموت أربعة منكم لكنهم تمكنوا منه وقتلوه وعادوا الى ديارهم وام جليحة تشاهدهم وعندما راوها اخبروها بأنهم قتلوه ورموا اليها بثيابه فأمسكت به واخذت تشمها ومن ثم قالت وهي تبكي ريح عطر وثوب عمرو (٣١)

صَباحُ الطَعنِ في كَرٍّ وَفَرٍّ ... وَلا ساقٍ يَطوفُ بِكَأسِ خَمرِ

أَحَبُّ إِلَيَّ مِن قَرعِ المَلاهي ... عَلى كَأسٍ وَإِبريقٍ وَزَهرِ

مُدامي ما تَبَقّى مِن خُماري ... بِأَطرافِ القَنا وَالخَيلُ تَجري

أَنا العَبدُ الَّذي خُبِّرتَ عَنهُ ... يُلاقي في الكَريهَةِ أَلفَ حُرِّ

خُلِقتُ مِنَ الحَديدِ أَشَدُّ قَلباً ... فَكَيفَ أَخافُ مِن بيضٍ وَسُمرِ

وَأَبطِشُ بِالكَمِيِّ وَلا أُبالي ... وَأَعلو لِلسِماكِ بِكُلِّ فَخرِ

وَيَبصُرني الشُجاعُ يَفِرُّ مِنّي ... وَيَرعَشُ ظَهرُهُ مِنّي وَيَسري

ظَنَنتُم يا بَني شَيبانَ ظَنّاً ... فَأَخلَفَ ظَنَّكُم جَلدي وَصَبري

سَلوا عَنّي الرَبيعَ وَقَد أَتاني ... بِجُردِ الخَيلِ مِن ساداتِ بَدرِ

أَسَرتُ سَراتَهُم وَرَجَعتُ عَنهُم ... وَقَد فَرَّقتُهُم في كُلِّ قُطرِ

وَها أَنا قَد بَرَزتُ اليَومَ أَشفي ... فُؤادي مِنكُمُ وَغَليلَ صَدري

وَآخُذُ مالَ عَبلَةَ بِالمَواضي ... وَيَعرِفُ صاحِبُ الإيوانِ قَدري (٣٢)

فهي تصرح في نهاية الأبيات بروزها للتشفي من خصومها، وما ذلك إلا بروز لطلب الثأر الذي إن لم يتحقق، تبقى تنوح وتولول وتحث ذويها وقومها للأخذ بالثأر، كي لا

تظل وصمة عار عليهم، لاسيما وأن من تقاليد الجاهلية أن روح المقتول تظل هائمة في السماء على شكل طائر البوم، تحوم على دار أهلها وتصيح أسقوني.. أسقوني.. من ذلك يتضح مدى إلحاح الأمر على الأخذ بالثأر، طلباً للتشفي بالقتل من القاتل، وما ذلك إلا سمة من سمات المجتمع الجاهلي، ومن أعرافه وتقاليده التي لا يمكن تجاوزها بأي حال من الأحوال.

الخاتمة:

- اقترنت ظاهرة الشماتة والتشفي بظاهرة القتل، وكذلك بالدعوة والحث على الأخذ بالثأر من القتلة، لا سيما في موضوعة التشفي؛ إذا ظهر الإلحاح على التشفي القتل أكثر من الشماتة التي قد يكون الشاعر شامتاً بالقتل أو بغيره، كتغير أحوال الخصم وتقلب الدهر عليه.
- كانت موضوعة الشماتة مقرونة، وبشكل جلي، بالفخر وتمجيد بطولات القبيلة، لاسيما إبان المنازعات والحروب الدائرة بين القبائل.
- برز لدينا أن الشاعر في العصر الجاهلي، كان لا يجد حرجا من الشماتة بالخصوم والتشفي بهم في الهجاء، إذ لم يبدر منه التورع عن ذلك الفعل إطلاقا، وكأن الأمر من المسلمات في مجتمعهم..
- أتضح لدينا ارتباط الموضوع كثيرا بغرضي الهجاء والفخر، وهما من أهم الأغراض في الشعر الجاهلي، ولهما حيز كبير في شعر الخصومات والمنازعات والحروب، لذلك أجد أنه من الممكن أن يدرس هذا الموضوع ضمن دراسة مستقلة تبحث في الشعر الجاهلي ككل، وتسلط الضوء على ظاهرة الشماتة والتشفي بشكل أكثر دقة وسعة، من أجل أن تخرج بنتائج أكثر، وتعطي لمحة أوضح عن جانب مهم من حياة الشاعر في العصر الجاهلي وطرق تفكيره، وعن طبيعة المجتمع ككل.

الهوامش:-

(١) ديوان الحطيئة، شرح حمدو طماس، دار المعرفة – بيروت، ط٢ ، ٢٠٠٥، ص٧٣- ٧٤.

(٢) ديوان ذو الإصبع العدواني، جمعه وحققه عبد الوهاب محمد علي العدواني و محمد نائف الدليمي، وخط أشعاره يوسف ذنون ، مطبعة الجمهور ، الموصل ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ص١٧٦ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ، تأليف : احمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ٣/٢١٠ ، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٢١٠، تاج العروس للزبيدي ٤/٥٨٠

(٥) الجامع الاحكام القران للقرطبي ، ٧/٢٩١

(٦) كتاب فتح القدير للشوكاني ، ٢/٢٨٣ .

(٧) تفسير فتح والتنوير لابن عاشور ٩/١١٧ .

(٨) معجم المعاني الجامع

(٩) شرح القاموس النور

(١٠) ديوان الحماسة سلسلة من كتب التراث وزارة الثقافة دار الرشيد ت دكتور عبد المنعم احمد صالح

١١ في هجاء الشماتة (مقال) بسمة النسور، العربي الجديد، صحيفة ألكترونية، ٦ مارس- ٢٠٢٣.

١٢ ديوان عروة بن الورد "أمير الصعاليك" دراسة وشرح وتصحيح: أسماء أبو بكر أحمد، منشورات محمد علي بيضون/دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٨، ص٨٩.

(١٣) ابن السكيت قولهُ (أَلَيسَ وَرائي .... أي اسلمت ان اهون وادب على العصا)

(١٤) ابن السكيت رهينة قعر (أنا مرقهن في البيت لا ابرح قعرهُ واهدج / هدج يهدج) وهو تدارك الخطو والرأل / فرخ النعام فيقول انا فنحن كأني فرخ النعام

(١٥) ابن السكيت قولهُ (اقيموا أي وجهوا في الغزل واهضبوا لهُ والهزل والجوع والهازل الجائع يقال هزل الرجل دانية ، ديوان عروة بن الورد شرح ابن السكيت يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ)حققه عبد المعين الملوحي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، سوريا

١٦ ديوان علقة الفحل، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب، مراجعة فخر الدين قباوة، دار الكتاب العربي بحلب، ١٩٦٩، ص ١١١- ١١٢.

١٧ ديوان امرئ القيس، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٧٨، ص ٤٥.

(١٨) شرح ديوان امرئ القيس ، ص ١٣٨

١٩ شرح المعلقات السبع، ابو عبدالله الحسين بن احمد الزوزني، الدار العلمية، ١٩٩٣، ص١٢٣.

٢٠ ديوان امرئ القيس، ص ٢٠.

٢١ المصدر نفسه، ص ١١٧.

(٢٢) ديوان علقمة الفحل ، المؤلف / علقمة بن عبدة بن ناشره بن قيس، ط١ ، شرحه الشنتمري ، الناشر: دار الكتاب العربي، لبنان ، محقق حنا نصر الحتي ، ص ،١٢٦،١٢٥،١٢٤، ،١٢٣

(٢٣) شرح ديوان عنترة الخطيب التبريزي /قدم له ووضع حواشيه وفهارسه مجيد طراد/ دار الكتب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢، صفحة ٣٤.

(٢٤) ص ٣٥ .

(٢٥) ديوان عمر بن قميئة، تحقيق شرح خليل إبراهيم العطية، الناشر : دار صادر – لبنان ط١ ، ١٩٧٠ ط٢ ،١٩٩٤، ص ٤٦.

(٢٦) الصورة الخيالية من الحجاز وتكون عبارات حقيقة الاستعمال ومع ذلك فهي تشكل صورة دالة عن خيال صعب، والتي هي نتيجة لعمل ذهن الإنساني في تأثيره بالعمل الفني ومفهومه له يضر الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب، ص ١٤ والصورة في الشعر العربي حتى اخر القرن الثاني هـ ٢٥، وبناء الصورة الفنية في البيان العربي ٢٦٨.

(٢٧) ديوان عمر بن قميئة ، ص ٣٩

٢٨ ديوان عنترة بن شداد، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، ١٩٦٤، ص٣٣٤.

(٢٩) اشعار النساء / تأليف ابي عبيد الله محمد بن عمرو المزرباني ، تحقيق د. سامي مكي وهلال ناجي ١٩٧٦ ، ص ١٨٧ ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد .

(٣٠) ديوان الهذلين ، ج٣/ص١١٣، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٣

(٣١) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، ج١، دار المعارف القاهرة، ١٩٥٨م.

(٣٢) ديوان عنترة بن شداد ، ط ٤ ، ص ٤٤ ، مطبعة الآداب بيروت .

المصادر والمراجع

١. اشعار النساء / تأليف ابي عبيد الله محمد بن عمرو المزرباني ، تحقيق د. سامي مكي وهلال ناجي ١٩٧٦ ، ص ١٨٧ ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد .

٢. الجامع الاحكام القران، تأليف: ابي عبد الله بن احمد بن ابي بكر القرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٦م.

٣. الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام ص١٣٠ – ١٣١ د. محمد عبد المنعم خفاجى، د. صلاح الدين محمد عبد التواب. مكتبة الأزهر– مطبعة عيسى البابى الحلبى– القاهرة ١٩٧٤م.

٤. ديوان الهذليين، ترتيب وتعليق محمّد محمود الشنقيطي، الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة – جمهورية مصر العربية، تاريخ النشر: ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م

٥. ديوان امرئ القيس، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف – القاهرة، طبعة الخامسة، ص ١٣٨، تاريخ الناشر ١٩٨٤م .

٦. ديوان ذو الإصبع العدواني، جمعه وحققه عبد الوهاب محمد علي العدواني و محمد نائف الدليمي، وخط أشعاره يوسف ذنون ، مطبعة الجمهور ، الموصل ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م.

٧. ديوان علقمة الفحل ص ١٢٣، المؤلف / علقمة بن عبدة بن ناشره بن قيس، ط١ ، شرحه الشنتمري ، الناشر: دار الكتاب العربي، لبنان ، محقق حنا نصر الحتي .

٨. ديوان عمر بن قميئة / تحقيق شرح خليل إبراهيم العطية، الناشر : دار صادر – لبنان ط١ ، ١٩٧٠ ط٢ ، ١٩٧٣ ط٣ ، ١٩٨٠ ، ص ٤٦.

٩. ديوان الحطيئة، شرح حمدو طماس، دار المعرفة – بيروت، ط٢ ، ٢٠٠٥.

١٠. ديوان عروة بن الورد "أمير الصعاليك" دراسة وشرح وتصحيح: أسماء أبو بكر أحمد، منشورات محمد علي بيضون/دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٩٩٨.

١١. ديوان عنترة بن شداد، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، ١٩٦٤.

١٢. سيكولوجية الشماتة وثقافة الانتقام د. سّيار الجَميل ، ٢٠٠٩/١٢/١٦ .

١٣. شرح ديوان امرئ القيس ، جمعه وحققه حسن السندوبي وراجعه وشرحه أسامة صلاح الدين منيمنة ، دار احياء العلوم – بيروت ، طبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

١٤.شرح ديوان عنترة الخطيب التبريزي /قدم له ووضع حواشيه وفهارسه مجيد طراد/ دار الكتب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢، صفحة ٣٤.
١٥.شرح ديوان عنترة بن شداد ، تحقيق مجيد طراد ص ٨٢ ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، طبعة الأولى ، تاريخ النشر ١٤١٢هـ –١٩٩٢م .
١٦.شرح ديوان عنترة بن شداد ، تحقيق ودراسة مجيد طراد،، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، طبعة الأولى ، ص ٨٥ ، تاريخ النشر ١٤١٢هـ –١٩٩٢م
١٧.الشيب في شعر عمرو بن قميئة (دراسة وتحليله) مجلة كلية التربية الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية (أ. م نرجس حسين زاير) أ.م.د جمال عجيل سلطان، ص ٤، ص ٦، ٢٠٢٠/١٠/٩.
١٨.الصورة الخيالية من الحجاز وتكون عبارات حقيقة الاستعمال ومع ذلك فهي تشكل صورة دالة عن خيال صعب، والتي هي نتيجة لعمل ذهن الإنساني في تأثيره بالعمل الفني ومفهومه له يضر الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب، ص ١٤ والصورة في الشعر العربي حتى اخر القرن الثاني هـ ٢٥، وبناء الصورة الفنية في البيان العربي ٢٦٨.
١٩.كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، ج١، دار المعارف القاهرة، ١٩٥٨م.
٢٠.كتاب فتح القدير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة – بيروت، طبعة الرابعة، ٢٠٠٧ م.
٢١.كتاب لسان العرب، حرف الهاء ٣٨٦، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (ابن منظور) الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء ١٥.
٢٢.مجلة العربي الجديد ، مقالة في هجاء الشماتة ، الكاتب إبراهيم الحسون ، www.alaraby.co.uk ، ٢٠٢٣/٣/٦ .
٢٣.معجم المعاني (حرف الهاء) ، مؤلف : محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم الأصبهاني أبو بكر ابن المقرىء ، الناشر : دار الكتب العلمية .
٢٤.معجم المعاني الجامع

٢٥.معجم شعراء العرب، المزرباني، دار الصادر للطباعة والنشر، ١٩٠٠م.

٢٦.معجم مقاييس اللغة، تأليف: احمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ٣/٢١٠، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

Sources and References

1. Ash'ar al-Nisa' / Authored by Abu Ubaid Allah Muhammad bin Amr al-Muzarbani, edited by Dr. Sami Maki and Hilal Naji, 1976, p. 187, Dar al-Risalah for Printing, Baghdad.
2. Al-Jami' fi Ahkam al-Qur'an / Authored by Abu Abdullah bin Ahmad bin Abu Bakr al-Qurtubi, edited by Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, 1st edition, published by Dar al-Masalah, Beirut, 2006.
3. Al-Hayat al-Adabiya fi 'Asray al-Jahiliya wa Sadr al-Islam p. 130-131, Dr. Muhammad Abdul Monem Khafaji, Dr. Salah al-Din Muhammad Abdul Tawab, Al-Azhar Library – Issa al-Babi al-Halabi Printing, Cairo, 1974.
4. Diwan al-Hudhailiyyin, edited and commented by Muhammad Mahmoud al-Shanqeeti, published by the National Press and Publishing House, Cairo, Egypt, 1385 AH - 1965 CE.
5. Diwan Imru' al-Qays, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, published by Dar al-Ma'arif, Cairo, 5th edition, p. 138, 1984.
6. **Diwan Dhul-Isba' al-Adwani**, collected and edited by Abdul Wahab Muhammad Ali al-Adwani and Muhammad Nayef al-Dulaimi, with poetry written by Yusuf Dhunnun, Al-Jumhour Printing House, Mosul, 1393 AH / 1973 CE.
7. **Diwan Alqama al-Fahl**, p. 123, Author: Alqama bin Abdah bin Nashirah bin Qays, 1st edition, commentary by al-Shantamari, published by Dar al-Kitab al-`Arabi, Lebanon, edited by Hanna Nasr al-Hiti.
8. **Diwan Umar bin Qumay'ah**, edited by Khalil Ibrahim al-Atiyah, published by Dar Sader, Lebanon, 1st edition, 1970, 2nd edition, 1973, 3rd edition, 1980, p. 46.
9. Diwan al-Hutay'ah, commentary by Hamdo Tamas, Dar al-Ma'rifah – Beirut, 2nd edition, 2005.

10. Diwan Urwah bin al-Ward "Amir al-Saaliq", study, commentary, and correction by Asma' Abu Bakr Ahmad, published by Muhammad Ali Baydoun/ Dar al-Kutub al-`Ilmiyah, Beirut, Lebanon, 1998.
11. Diwan `Antarah bin Shaddad, edited by Muhammad Said Moulawi, Al-Maktabah al-Islamiyah, 1964.
12. Sikolojiyat al-Shamata wa Thaqafat al-Intiqam, Dr. Sayyar al-Jamil, 16/12/2009.
13. Sharh Diwan Imru' al-Qays, compiled and edited by Hassan al-Sindubi, reviewed and explained by Osama Salah al-Din Minyamah, Dar Ihya' al-`Ulum – Beirut, 1st edition, 1410 AH, 1990 CE.
14. **Sharh Diwan Antarah al-Khatib al-Tabrizi**, introduced and annotated by Majid Tarad, Dar al-Kutub al-Arabi, Beirut, 1st edition, 1992, p. 34.
15. **Sharh Diwan Antarah bin Shaddad**, edited by Majid Tarad, p. 82, published by Dar al-Kitab al-Arabi – Beirut, 1st edition, 1412 AH - 1992 CE.
16. **Sharh Diwan Antarah bin Shaddad**, edited and studied by Majid Tarad, published by Dar al-Kitab al-Arabi – Beirut, 1st edition, p. 85, 1412 AH - 1992 CE.
17. **Al-Shayb fi Shi'r Amr bin Qumay'ah (Study and Analysis)**, Journal of the College of Education, Al-Mustansiriya University, College of Political Science (Assistant Prof. Nargis Hussein Zayer), Assistant Prof. Dr. Jamal Ajeel Sultan, p. 4, 6, 9/10/2020.
18. Al-Surah al-Khayaliyah min al-Hijaz wa Takun Ibarat Haqiqiyyat al-Istimal wa Ma' Dhalik Hiya Tashkil Surah Dalalah an Khayal Sa'b, which is the result of the human mind’s work in its effect on and conceptualization of the artistic work in the rhetorical critical heritage of Arabs, p. 14, and the image in Arabic poetry up to the end of the 2nd century AH 25, and the construction of the artistic image in Arabic rhetoric 268.
19. Kitab al-Shi'r wa al-Shu'ara' by Ibn Qutaybah, edited and explained by Ahmad Muhammad Shaker, Vol. 1, Dar al-Ma'arif, Cairo, 1958.
20. Kitab Fath al-Qadeer, authored by Muhammad bin Ali bin Muhammad al-Shawkani, Dar al-Ma`rifah, Beirut, 4th edition, 2007.

21. Kitab Lisan al-`Arab, letter "H", p. 386, author: Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din (Ibn Manzur), the Ansari al-Ru'ayfi al-Ifriqi (d. 711 AH), annotations by al-Yaziji and a group of linguists, publisher: Dar Sader – Beirut, 3rd edition, 1414 AH, 15 volumes.
22. Al-Arabi al-Jadid Magazine, Article on the Satire of Schadenfreude, by Ibrahim al-Hassoun, www.alaraby.co.uk, 6/3/2023.
23. Mu'jam al-Ma'ani (Letter "H"), authored by Muhammad bin Ibrahim bin Ali bin Asim al-Asbahani, Abu Bakr Ibn al-Maqree', publisher: Dar al-Kutub al-`Ilmiyah.
24. Mu'jam al-Ma'ani al-Jami'
25. Mu'jam Shu'ara' al-`Arab, by al-Muzarbani, Dar al-Sader for Printing and Publishing, 1900.
26. Mu'jam Maqayis al-Lugha, authored by Ahmad bin Faris bin Zakariya Abu al-Hassan, edited by Abdul Salam Muhammad Haroon, Dar al-Fikr, 210/3, publication year: 1399 AH - 1979 CE.